

تجارب في الترجمة....

"الروض العاطر..." للنفراوي

قصة توليد النص الروسي



• يميري ميكولسكي الدكتور الأستاذ في معهد الاستشراق لأكاديمية العلوم الروسية.

كانت الحضارة العربية الإسلامية إحدى الحضارات العالمية التي تتسم بالإحساس الجسمي الطبيعي الصحيح. ومن المعروف أن العرب المسلمين قد تمكّنوا من تحقيق انجازات بارزة في شتى مجالات النشاط البشري. فأحد هذه الانجازات التي لا جدال في أهميتها هي الثقافة الجنسية الظرفية التي تكونت في ظل الحضارة العربية الإسلامية.

فن المعروف أنه في حضون الحضارة المسيحية، وذلك في أوربا الغربية الكاثوليكية وفي بلاد الروم الأرثوذكسية والأقطار المتأثرة بثقافتها على حد سواء كانت تغلب نظرة الازدراء للجانب الجسدي للKitab. وعلى عكس ذلك وضع الدين الإسلامي العلاقات الجنسية في إطار محدود عقلي. فنشأ في مضمamar الأدب العربي عديد من النكت والملح والحكايات والقطع الشعرية ذات الطابع الآروطوي وهي مبثوثة في مختلف مؤلفات الأدب. هناك تفاصيل آروطوية في السير والحكايات الشعبية، إنما نسبتها ليست كبيرة كما يعتقد أحيانا.

أما المؤلفات الآروطية بالذات فهي كما يتبيّن من خلال التحقيق فعلا قليلة العدد. هذا ويدرك المستعرب الألماني الكبير كارل بروكيلمان (1868 - 1956) في معجمه الشامل للأدباء العرب وآثارهم فقط تسعة مؤلفين كانوا ينخصصون في هذا الموضوع. ومن الطريق أن خمسة منهم من أبناء المغرب العربي مما يشير إلى كون مفكّري هذه الربوع قد قدّموا إسهاماً مميّزاً في خزانة الثقافة الآروطية العربية الإسلامية.

أما اسم الشيخ سيدى محمد بن محمد النفزاوى فيلمع لمعان القمر بين كوكبة النجوم هذه. وهو أيضا من أبناء المغرب. ذلك وتعدم ترجمة حياته ولكنه من الظاهر أنه كان يعيش في فترة ملتقى القرنين الخامس عشر والرابع عشر. فالرغم من مفاخرها الأدبية الواضحة من الأرجح أن رسالة النفزاوى لم تخرج آنذاك عن النطاق الضيق من أتباع البلاطالأميري الذين كما يبدو كانت قد أفلت من أجلهم. ويشهد بضيق انتشار الرسالة وجود مخطوطتين لها فقط، حيث يحتفظ إدراهما في باريس وثانيتهما في مدينة غوطة الألمانية . أما المخطوطة الباريسية، فقد غنمـت من قبل العساكر الفرنسيـين في البلاد الجزائرـية أثناء حرب العـدوان الاستعمـاريـ. فـتم تعرـف القارئ الأوروبي على "الروض العاطـر" بفضل الترجمـة الفـرنـسيـة التي صدرـت في سـنة 1850 . أما الطـبعـتان العـربـيتـان فقد ظـهـرتـا في سـنة 1900-01 (في مدـيـنة فـاسـ، وهـي طـبـعة بالـحـجـر عـلـى الحـجـر) وـفي سـنة 1928 (في مدـيـنة تـونـسـ ، وهـي طـبـعة عـادـيةـ).

لقد وقـعت الرـسـالـة في مـتـاـولـ صـاحـبـ هـذـهـ الأـسـطـرـ بالـصـدـفـةـ. وذلك أـثنـاءـ زـيـارـةـ إـلـىـ تـونـسـ فيـ عـامـ 1986ـ معـ وـفـدـ اـتـحـادـ الـأـدـبـاءـ السـوـفـيـاتـ. فقد تـشـرـفـتـ بـالـحـصـولـ عـلـىـ هـذـاـ الكـتـابـ هـدـيـةـ منـ زـمـيلـيـ الشـاعـرـ التـونـسـيـ عـبدـالـلهـ الـقـاسـمـيـ . انـهـاـ كـانـتـ طـبـعةـ شـعـبـيـةـ تـشـمـلـ إـلـىـ جـانـبـ الرـسـالـةـ المـذـكـورـةـ عـلـىـ أـثـرـ آخرـ لـلـشـيخـ النـفـزاـويـ وهـوـ "كتـابـ الإـيـضـاحـ فـيـ عـلـمـ النـكـاحـ". وـسرـعـانـ ماـ تـيـقـنـتـ قـيـمةـ الجـوـهـرـةـ التـيـ مـنـ بـهـاـ عـلـىـ الـقـدـرـ، وـعـزـمـتـ عـلـىـ تـرـجـمـةـ هـذـاـ النـصـ غـيرـ المـثـمـنـ وـنـشـرـهـ يـوـمـاـ مـاـ، انـمـاـ كـانـ مـاـ كـانـ مـنـ الـمـسـتـحـيلـ أـنـ يـحـلـ الـمـرـءـ بـذـلـكـ فـيـ ظـرـوفـ النـظـامـ السـوـفـيـاتـيـ.

وـسـبـبـ ذـلـكـ يـعـودـ فـيـ نـهـيـاهـ الـمـطـافـ إـلـىـ كـوـنـ الـقـاـفـةـ الـأـدـبـيـةـ الـرـوـسـيـةـ تـتـمـيـزـ تـارـيـخـياـ بـدـرـجـةـ عـالـيـةـ مـنـ التـرـهـدـ، وـأـمـاـ النـزـعـةـ الـآـرـوـطـيـةـ فـضـعـيفـةـ التـطـوـرـ فـيـهـاـ.

لقد تـهـيـأـتـ الـظـرـوفـ لـلـعـلـمـ عـلـىـ تـرـجـمـةـ الرـسـالـةـ وـنـشـرـهـاـ فـيـ فـتـرـةـ ماـ بـعـدـ السـوـفـيـاتـيـةـ. وـفـيـ أـثـنـاءـ الـعـكـوفـ عـلـىـ تـرـجـمـةـ كـنـتـ أـسـتـرـشـدـ بـأـفـضـلـ نـمـاذـجـ تـرـجـمـةـ الـأـثـارـ الـعـرـبـيـةـ إـلـىـ الـلـغـةـ الـرـوـسـيـةـ التـيـ وضعـ مـبـادـئـهاـ وـصـفـلـ أـسـلـوبـهـاـ فـيـ الـقـرـنـينـ التـاسـعـ وـالـعـشـرـينـ كـلـ مـنـ سـيـنـكـوـفـسـكـيـ (1800 - 1858) وـسـابـلـوـكـوـفـ (1804 - 1880) وـكـريـمـسـكـيـ (1871 - 1942) وـكـرـاتـشـكـوـفـسـكـيـ (1883 - 1951) وـسـالـيـيـ (1899 - 1961) وـغـيرـهـمـ مـنـ الـبـاحـثـينـ وـالـمـتـرـجـمـينـ الـرـوـسـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـسـتـقـصـونـ آـثـارـ الـأـدـبـ الـعـرـبـيـ الرـفـيـعـ وـالـأـدـبـ الـعـرـبـيـ الشـعـبـيـ عـلـىـ حدـ سـوـاءـ.

وـمـنـ بـيـنـ الـمـهـامـ الشـاـفـةـ التـيـ كـنـتـ أـوـاجـهـاـ فـيـ عـمـلـيـةـ تـحـقـيقـ تـرـجـمـةـ الرـسـالـةـ كـانـتـ نـلـحـ عـلـيـ مـهـمـةـ وضعـ الـأـسـلـوبـ الـلـغـوـيـ الـرـوـسـيـ الـمـلـائـمـ لـنـقـلـ الـمـفـاهـيمـ الـأـرـوـطـيـةـ التـيـ تـعـبـرـ عـنـهـاـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ بـالـطـرـيـقـةـ الـطـبـيـعـيـةـ جـداـ. وـنـظـرـاـ لـخـصـائـصـ الـتـقـالـيدـ الـلـغـوـيـةـ الـرـوـسـيـةـ كـانـ يـتـرـتـبـ عـلـيـ استـعـمالـ الـكـلـمـاتـ الـرـوـسـيـةـ مـنـ غـيرـ التـرـجـمـةـ وـلـكـنـ مـصـحـوـبـةـ بـالـشـرـحـ حـيـثـ كـنـتـ أـوـضـحـ مـعـانـيـهـاـ.

هـذـاـ وـأـجـرـؤـ أـنـ آـمـلـ بـأـنـ مجـهـودـيـ المـتوـاضـعـ لـمـ يـذـهـبـ عـبـثـاـ، إـذـ أـنـ تـرـجـمـةـ "الـرـوـضـ العـاطـرـ" قدـ نـشـرـتـ ثـلـاثـ مـرـّاتـ وـذـلـكـ فـيـ سـنـوـاتـ 1994ـ وـ1997ـ وـ2008ـ. وـمـعـ ذـلـكـ لـاـ أـعـقـدـ أـنـ عـمـلـيـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ قدـ اـنـتـهـيـ لـأـنـهـ لـاـ يـزالـ أـمـامـيـ غـرـضـ تـعـرـيفـ القـارـئـ الـرـوـسـيـ عـلـىـ رـسـالـتـيـ كـلـ مـنـ التـيـجـانـيـ وـالـتـيـفـاشـيـ. وـذـلـكـ لـهـ أـهـمـيـةـ كـبـرىـ

حيث تتقّدم بسرعة ما يسمى بالثقافة الجماهيرية التي تشوّه ملامح كافة أوجه الثقافة الأصيلة بما في ذلك الثقافة الأوروبيّة.

ديمترى ميكولسكي عضو أكاديمية العلوم الروسيّة، باحث مختص في التاريخ العربي والإسلامي، ترجم "مروج الذهب" للمسعودي وبعض أعمال عبد الحميد بن هدوقة إلى اللغة الروسيّة.